ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

العُلماء والفُقهاء في الجزائر بين اضْطِهاد ونَفي مَنظُومة الحُكم العُثماني واسْتِقطاب واسْتِغلال مَنظُومة الحُكم السَّعدي والعَلوي في المَغرب.

قاصري محمد السعيد*

Abstract: This research article addresses the Algerian cultural history during the Ottoman era; it comes to identify the position of Algerian scientists and scholars in the thoughts of governing system during the Ottoman rule in Algeria. Many historians tend to believe that Algerian elites attained a considerable reputation in Ottoman Algeria, while others maintain that they were oppressed and as a result they fled Algeria. It is noteworthy that Saadi and Alaoui regimes in Morocco made the most from the mind qualities of these Algerian scholars by welcoming them. This left an outstanding impact upon the cultural spheres of Morocco. Along with the cultural nature, they played a paramount role in the mutually diplomatic and political relations between Morocco and Algeria during this period. This is what we will try to address

مقدمة: لا يزال تاريخ الجزائر يحتاج إلى مَزيد من الأبحاث في كَثيرٍ من القضايا العالقة، ومن بين هذه القضايا: مَوْقِعْ العُلماء والفُقهاء في فِكر منظُومة الحُكم العُثماني للجزائر، فهُناك من يرى بأنَّهُم نَالوا مكانة مُعتبرة في فكر هذه المنظُومة، ويَسْتشهِدُون في ذلك بِتجرُبتي صالح باي في قسنطينة، والباي محمد الكبير بوهران، بينما يرى البعض الآخر عكس ذلك تماما، حيث تعرضوا إلى العديد من المضايقات وعمليات النّفي والاضطهاد والقتل والانتقام، والإشكال المطروح في الشَّطر الأول مِن مَقالِنا يَكمُن في: مَوْقِف مَنظُومة الحُكم العُثماني من هذه الفِئة؟ كيفَ اتّسمت العلاقة بين الطّرفين؟ هل قامت على أساس التّجاذُب والتّقارُب القائم على أساس التّوقير والاحترام، وإشراكهم في ترشيد الحُكم؟ أَمْ قامت على أساس التّنافُر والتّباعُد الذي مَردُه عدم سير العُلماء في فلك هذه المنظُومة، وخُروجِهم عنها؟.

أمّا الإشكال المطروُح في الشّطر الثاني من المقال، فَهُو يَكمُن في مَوْقِع عُلماء وفُقهاء الجزائر في فِكْر مَنظُومة الحُكم المغربِي السَّعدي والعلوي بعد لُجُوئِهم إلى المغرب؟ فهل وجدُواْ

*أستاذ محاضر أ في التاريخ الحديث والمعاصر– قسم التاريخ–كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية– جامعة محمد بوضياف– المسيلة.

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

المكانة اللاّئقة بهم؟ وإلى أيّ مدى نجحت في اسْتقطابهم أو بالأحرى احتوائهم واستغلالهم في مختلف مناحي الحياة؟ وما هو انعكاس ذلك على العلائق السّياسية بين الجزائر والمغرب...الخ؟، هذا ما سُنجيب عنه ضمن العناصر الأساسية والفرعية التي يتشكل منها هذا المقال:

1- سِياسة منظومة الحُكم العُثماني (من الاحتواء والاستغلال إلى الاضطهاد والانتقام):

سلكت هذه المنظومة منذ البداية سياسة مُزدوجة في التعامل مع الفقهاء والعلماء، فقامت بالتقرب منهم واستغلالهم في إنجاح مشروع التواجد العثماني في الجزائر، ومع مرور الوقت قامت بإقصائهم في ظل وجود ولاءات جديدة لها داخل المجتمع الجزائري، وهذا ما يمكننا الوقوف عليه من خلال عمليات الإعدام التي قاما بها عروج وخير الدين ضد العُلماء والفُقهاء والأعيان المعارضين لهما في كل من تلمسان وتنس والجزائر، والسُّؤال المطروح في هذه الأثناء: هل قاما بمراجعة الفُقهاء والعُلماء في هذه المسألة؟ أم أن عَملهما هذا كان انتقاميا لم يحتكما فيه إلى الشَّرع الإسلامي؟.

يذكُر لنا محمد درّاج: إنَّ إعدام السّلطان أبو زيان المسعود تمّ بِناءً على فتوى علماء تلمسان[1]، أما بالنسبة لإعدام احميده العبد سلطان تنس، وسالم التُّومي شيخ قبيلة الثَّعالبة، فتم بِناءً على فتوى علماء الجزائر: «أيها السادة: ما حكم الشرع فيمن تمالأ مع الكفار الإسبان وبايع ملك اسبانيا الذي سار لقتل إخواننا...وقابل نصحنا بالكنود؟ [فكان جوابهم]: إن قتله واجب ودمه وماله حلال»[2]، غير أن رواية "كورين شوفالييه" حول مقتل سالم التُّومي تجْعَلُنا لا نطمئن إلى استناد عُرّوج إلى فتوى الفقهاء، لأن قتله كان بدوافع سياسية، ومما جاء في روايته حول طريقة قتل سالم التومي: «وقد اختفى هذا الأخير بالفعل حيث وُجد مقتولا في داخل حمامه، ويُرجّح أن عملية قتله قد حدثت في قصره المسمى الجنينة، وبعدما تخلص من خصمه نصّب عروج نفسه ملكا على مدينة الجزائر»[3].

أحدثت هذه العملية ردود فعل عنيفة بقيادة يحي بن سالم التومي، الذي طلب يد المساعدة من الإسبان للانتقام من عروج، فتظاهر هذا الأخير بغض النظر عنه، وعندما سمحت له الفرصة تمكن من إلقاء القبض على خصومه أثناء صلاة الجمعة وقام بإعدامهم، بعدما

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

استفتى العلماء والفقهاء في شأنهم[4]، و قام بتكليف الفقيه سيدي عبد الرحمان للتوسط له في الصلح مع عائلة سالم التومي[5].

بعد عرضنا لموقف عروج وخير الدين من خصومهما والوقوف على مدى استغلالهما لفتوى الفقهاء والعلماء، نعود للحديث عن صُلب موضوعنا المتعلق بسياسة منظومة الحكم العثماني تجاه العلماء والفقهاء خارج مدينة الجزائر، وهذا ما توضحه المعطيات التالية:

1- بايلك الشرق الجزائري: استهدفت منظومة الحكم العثماني بهذا البايلك، مجموعة من العلماء والفقهاء، نذكر من بينهم:

أ- **الشيخ أحمد بن القاضي**[6]: ساهم بشكل كبير في استقرار العثمانيين بالشرق الجزائري، وهذا ما تُوضِّحهُ الشَّواهد التَّالية:

- مُشاركته في الوفد الذي توجّه إلى الإخوة بربروس أثناء تواجدهم بمدينة جيجل لمطالبتهم بالتدخل لتحرير مدينة بجاية، ومساهمته إلى جانبهم في حملتهم لتحرير بجاية بجيش قوامه عدة آلاف من الرجال[7]، وفي حملتهم لتحرير مدينة الجزائر بجيش قوامه 3000 مقاتل[8].

- ترأسه للوفد الجزائري الذي توجه لمقابلة السلطان سليم الأول لمبايعته وتزكية خير الدين[9]، ومن غير المستبعد أن هذا الأخير كان وراء تعيين ابن القاضي على رأس هذه الوفادة بناء على سياسة التقارب التي سلكها معه، ولكسب ولاء إمارة كوكو التي ينتمي إليها ابن القاضي.

بعد عودة الوفد الجزائري من اسطنبول، قام خير الدين بتنظيم الإدارة فاستقر هو في العاصمة، وعيّن أحمد بن القاضي نائبا عنه في الناحية الشرقية، فاتخذ من دلس مركزا له، وعيّن محمد علي -أحد الرجال المخلصين لابن القاضي-نائبا عنه في الناحية الغربية والذي اتخذ من شرشال مركزا له، وغايته في ذلك هو محاولة احتواء واستغلال نفوذ ابن القاضي، غير أن الأمور سارت عكس ما كان يتوقعه خير الدين، إذ سرعان ما انقلب عليه ابن القاضي، ومن بين التّطورات التي حصلت في هذا الشأن:

1- اقتحام ابن القاضي لمدينة الجزائر وسيطرته عليها، بعد طرده لخير الدين، الذي توجه نحو جيجل، رغم إلحاح العلماء عليه بالبقاء في الجزائر، حسب ما جاء في مذكراته: أرسل الأهالي وفدا كبيرا من العلماء إلى سفينتي، فلما حضروا رجوني أن أصرف النظر عن فكرة الرحيل وأبقى

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

في الجزائر، لم أتراجع عن قراري، إلاّ أنني اعتذرت إليهم بلطف ولين جبرا لخاطرهم فغادروا سفينتي وقلوبهم تعتصر أسى.[10]

2- أثناء وجود خير الدين بمدينة جيجل قام بتوسيع نفوذه في الشرق الجزائري، بالمراهنة على سياسة التقارب والتحالف مع العلماء والفقهاء، فتمكن بمساعدتهم من فتح عنابة وقسنطينة سنة 1522، كما نجح في التّحالف مع ابن العباس خصم ابن القاضي.

3- نظرا لسلوكات ابن القاضي تُجاه سكان مدينة الجزائر، اضطروا مرة أخرى إلى مراسلة خير الدين لتخليصهم منه، فجهّز جيشا عرمرما من مختلف القبائل، وتوجّه به صوب الجزائر العاصمة، وعندما أحس ابن القاضي بقدومه استعد لمواجهته، وتمكن من الانتصار عليه في عدة مواقع، إلا أن خير الدين تخلص منه عن طريق تكليف أحد الجنود المندسين باغتياله بمنطقة بني عيشة بحوز الجزائر[11].

أما موقف خير الدين من المعارضين له بمدينة الجزائر من أنصار ابن القاضي وغيره، فقد حكّم السيف في رقابهم بعدما استفتى العلماء في شأنهم، حسب مذكراته: «سادتي المشايخ، ما حكم هؤلاء الأسرى في ديننا وشريعتنا؟»، فأجابه أحدهم: «إن حكم الشرع في حق الخارجين عليك وعلى عساكرك هو الموت، لأنك تمثل في هذا البلد ملك البر والبحر مولانا السلطان سليمان خان، فأنت أمير أمرائه»[12]، ولم يكتف خير الدين باستفتاء العلماء، بل استشار حتى رؤساء البحر، الذين جاء جوابهم: «سيدي الباشا...أنت أعلم بهذا الأمر منا، فنحن لسنا علماء دين، إنما نحن جنود مقاتلون مسئولون أمام سلطان العالم المعظم باسطنبول...أرى أنه من الحزم أن تأمر بضرب أعناقهم ليكونوا عبرة لغيرهم»[13]، ومما جاء في تعليق خير الدين حول هذين الرَّأيين: «ترجّح لدي أن ما قاله ذلك الرئيس هو عين الصواب، فأمرت بضرب أعناق زعماء التمرد دون أن نمد أيدينا لأموالهم وأملاكهم»[14]، وما يمكن ملاحظته حول هذا الخطاب هو الموقع الثانوي للعلماء في فكر خير الدين فهو لم يقل: أخذت برأي العلماء بل قال: أخذت برأي رئيس البحارة، فالعلماء أضفى بهم شرعية حكم الإعدام فقط، ولم يكن قصده الاستناد إلى رأيهم بقدر إرضائه وتوقيره لرؤساء البحر.

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

بعد القضاء على ثورة ابن القاضي، تفرّغ خير الدين لمواجهة الشيخ حسين شقيق أحمد ابن القاضي، بالحيلة والسياسة إلى أن تمكن من التصالح معه، ورد له مكانته بين قومه[15]، وخلال ولاية حسن بن خير الدين الثانية (1557-1561) راهن على سياسة التّقارب من جديد مع عائلة ابن القاضي وترضيته بالمصاهرة، فتزّوج إحدى بناته[16]، ووظّفه ضد عائلة عبد العزيز بن العباس، وبعدما تمكن من القضاء على نفوذ هذا الأخير، تحالف العثمانيون من جديد مع خليفته أحمد المقراني واضطروا إلى مصالحته والاعتراف بزعامته[17].

2- علماء وفقهاء أسرة آل فقون بقسنطينة: تعود الاتصالات الأولى للعثمانيين بالشّيخ عبد الكريم الفقون الجد[18]، أثناء محاولتهم توسيع مجال نفوذهم على مدينة قسنطينة سنة 1522، التي رفض سكانها دخول المحلة التركية إلى المدينة، فتدخل الشيخ الفقون لإقناعهم وإقناع القبائل المجاورة لها خصوصا أولاد يعقوب بالتحالف مع العثمانيين[19]، ومما وقفنا عليه في دعم علماء هذه الأسرة للعثمانيين:

- تزكيته للعثمانيين: «هؤلاء الترك قدموا من حضرة السلطان العثماني، وهم من أبناء جنسه وتحت حكمه، إذ لا يليق بنا مقاتلتهم...وربما تلحقنا الضرورة (كذا) من السلطان المذكور من أجل مقاتلتنا لهم ومنعنا من دخولهم»[20]، وهذا ما دفع باشا الجزائر بتحرير رسالة شكر إلى الفقون: «فقد بلغنا أنك سرت إلى ناس قسنطينة بالتدبير المفيد، والرأي الصائب الرشيد...فجزاك الله بأحسن الجزاء...وما أنت إلا حبيبنا وصديقنا...وثم نلتمس منكم دعاء الخير في كل خطب، وزمان كل ركب، وكن ببال من أولادك الترك والسلام»[21].

- توجهه على رأس وفد من العلماء إلى الجزائر في سنة 975هـ/1567م لتذليل الصعاب التي اعترضت حسن بن خير الدين في تعيين باي قسنطينة، فاستقبلهم خليفته البايلرباي محمد بن صالح رايس[22]، وأسفرت وفادتهم عن تعيين رمضان بن تشولاق بايا على قسنطينة[23].

- تدخله بمعية شيخ الإسلام لإخماد ثورة أولاد عبد المومن التي اندلعت بقسنطينة بين السكان والإنكشارية في 1642/10/12 [24].

- وقوفه ضد ثورة بن الأحرش أثناء محاولته اقتحام مدينة قسنطينة، وحسب العنتري فإن الفقون لعب دور كبير في هذا الشأن: «وكان سيدي الشيخ بن الفقون هو الواقف في البلاد عند هذه

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

المصيبة، وهي الفتنة التي عصفت بحياة عصمان باي عندما توجه للقاء الشريف، فهاج الناس وماج مرة ثانية، وارتفعت الأصوات بالبكاء والصراخ وضجت العباد بالنحيب والصياح، فعندئذ تدخل أهل الرأي والمشورة وهم سيدي الشيخ والعلماء وديوان النوبة فكتبوا للباشا في الجزائر ليخبروه بواقع الحال، وضرورة التحرك قبل فوات الأوان»[25].

وبناء عليه تدارك الداي مصطفى باشا الأمر وتمكن من التصدي لهذه الثورة، ثم عيّن عبد الله باي على قسنطينة، وكتب إلى الفقون: «العالم الأشهر...سيدي الشيخ بن الفقون...أما بعد فرانا نستكثروا خيرك من شأن وقوفك وصيانتك للبلاد ونصحك وحمايتك للعباد...إذ خيرك معنا سابق، فبالأحرى أن يكون بالزيادة لاحق...وما أنت إلا حبيبنا وصديقنا»[26] ، كما كتب إلى سكان المدينة يوصيهم بالفقون خيرا: «وثم نوصيكم أن تكونوا حالا واحدة مع السيدي الشيخ بن الفقون، فإنه عصبتكم في مهامكم ومرشدكم في نوائبك»[27].

تُبين هذه الأدلة لنا علاقة التقارب التي كانت قائمة بين الفقون والعثمانيين، علاقة استمرت ردحا من الزمن، لكن منظومة الحكم العثماني تنكرت لها، وشرعت في ممارسة سياسة التهديد والانتقام ضد هذه العائلة، وهذا ما نلمسه من خلال المعطيات التالية:

1- إهانته من طرف الديوان، الذي ضرب عرض الحائط بالحصانة الدينية التي كان يتمتع بها الفقون، عندما قام بإلقاء القبض على صالح باي وقتله، رغم لجوئه إلى بيته وتدخله للشفاعة فيه[28]، ورفض الداي شعبان للوساطة التي تقدم بها الفقون لصالح إطلاق سراح ابن عمه–أحد فقهاء مدينة قسنطينة–الذي اعتقل لمجرد مطالبته بإطلاق سراح بعض من اعتقلهم الداي وهو في طريقه إلى تونس[29].

2- محاولة أحمد باي إلقاء القبض على الشيخ الفقون وقطع رأسه عندما تدخل لديه وعنّفه بضرورة الكف عن ممارساته العدوانية تجاه الرعية، خاصة بعد تنفيذه لحكم الإعدام في حق الفقيه العربي وسي الحسين، وهما من علماء المدينة وفقهائها[30].

أما بالنسبة لسياسة البايات خارج هذه الأسرة، فصالح باي مثلا نجده قام بإعدام العالم سيدي محمد الزواوي المعروف بسيدي محمد الغراب عندما نقم على العثمانيين وثار ضدهم[31]، ونفس المصير كاد سيعرفه الشيخ سيدي أحمد الزواوي رغم مساهماته في مساندة العثمانيين[32]،

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

هذا إلى جانب بورنان بن زكري، والشيخ سيدي عبيد من الحنانشة الذين تعرضوا لظلمه واضطهاده[33]، ونفس الشيء قام به الداي شعبان تجاه علماء قسنطينة أثناء حملته على تونس، عندما أجبرهم على دفع قسط كبير من المال[34].

أما شاكر باي فقد كان يقتل كل من يخشى بطشه ويحذر سطوته من ذوي العلم والمعرفة والوجاهة، كالشيخ عمار بن الحملاوي من قدماء الموظفين، والشيخ محمد المكي بن الساسي كبير كتاب الدولة الذي قضى بمصادرة أملاكه وسجن ولديه، رغم كون أحدهما قاض، ولم يسلم منه أيضا قاضي الحنفية الشيخ أحمد بن الوحيشي[35]، كما قام بالتخلص من الشخصيات العلمية في الأسرة المقرانية رغم الخدمات التي قدمتها لهم، مما أدى إلى اندلاع ثورة قبائل بلاد جرجرة سنة 1230هـ/1815م[36]، وخلال عملية التفاوض معهم ألقى القبض على المفاوضين وغدر بحوالي ثمانية أشخاص من خيرة أبنائها، وأرسل رؤوسهم لتعلق على أبواب مدينة قسنطينة عبرة لغيرهم[37].

2- دار السلطان (مؤقع العلماء والفقهاء من خلال خِطتي الفتوى والقضاء): بحكم أن الدولة العثمانية حنفية المذهب، والجزائر مالكية، فمنظومة الحكم أولت اهتمامها منذ البداية بالمذهب الحنفي وقدّمته على المذهب المالكي، لكنها لم تجبر الناس على اعتناقه[38]، كما حظي المفتي الحنفي بمكانة رفيعة وأصبح يلقب بشيخ الإسلام[39]، بينما بلغت منزلة القاضي الحنفي استخلافه للحاكم أثناء استدعائه إلى اسطنبول، وإلى غاية تعيين باشا جديد[40]، وبات تقديمه على زميله القاضي المالكي أمر مفروغ منه في الحظوة والاعتبار والرأي.

أدت هذه السياسة إلى نفور واعتذار كثير من الفقهاء في تولي هاتين الخطتين، كاعتذار عمر بن محمد الكماد (ت960هـ/1553م) عن خطة القضاء التي عرضها عليه حسن آغا[41]، نظرا لكثرة عمليات التعيين والعزل التي كانت تستهدف القضاة والمفتين في ظل التغيير المستمر للحكام[42]، وسنحاول في هذا العنصر تقديم عدة نماذج من الفقهاء الذين شغلوا هاتين الخطتين وسنرى كيف تقربت منهم منظومة الحكم العثماني، ثم انقلبت عليهم، ونكلت بهم، مما دفع بكثير منهم إلى الفرار نحو المغرب الأقصى، ومن بين هؤلاء:

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

1- المفتي أحمد زروق بن عمار: لم يكن تعيينه في هذا المنصب للاستفادة من كفاءته، بقدر كان تعيينه للاستفادة من ثروته، والشاهد في ذلك: إن المفتي كان يُعين أحيانا للاستفادة من ثروته كما حدث مع المفتي أحمد زروق بن عمار الذي ولاّه الديوان وحضر المدينة من أجل إصلاح الجامع الأعظم لأنه كان ثريا فلما أصلحه عزلوه سنة 1028هـ/ 1618م وولوا مكانه سعيد قدورة.

2- عائلة قدورة: اشتهرت بتولي الفتوى للعثمانيين على المذهب المالكي[43]، وحسب سعد الله فإن بداية هذه الأسرة في تولي هذه الوظيفة كانت سعيدة لكن نهايتها كانت أليمة، ومن بين الذين تولوا خطة الفتوى من هذه العائلة:

أ- سعيد قدورة (ت1066هـ/1655م): تولى خطة الفتوى سنة 1028هـ، كما تولى الإمامة بمسجد البلاط والخطابة والتدريس بجامع سيدي رمضان، وقد بلغت منزلته عند الباشوات أنهم كانوا يُقَبِّلُون يده إجلالا وتعظيما، ويقدمونه على شيخ الإسلام المفتي الحنفي، ولهذا عيّنوه رئيسا للمجلس العلمي القضائي، مما جعله يُعَيِّن ابنه محمد خليفة له في الفتوى والخطابة والتدريس، واستمر فيها إلى غاية وفاته سنة 1107هـ، وبعد انقطاع قصير تولى الفتوى أيضا سعيد بن أحمد قدورة من سنة 1122هـ-1129هـ[44].

ب-محمد بن سعيد قدورة (ت1107هـ/1695م)[45]: تولى الفتوى بعد والده، واستمر فيها نحو 40 سنة، لم يعرف خلالها أي كلل أو ملل، فكان مُتميّزا وناجحا في عمله، فحسده غيره من الوشاة الذين كتبوا رسالة إلى الحاكم حسب ابن المفتي اتهموه فيها بأعمال مُشينة فتم عزله سنة 1090هـ/1679م لبضعة أيام فقط، ثم أعيد لمنصبه بعدما تأكد الحاكم من براءته[46].

ج-أحمد بن سعيد قدورة: تولى خطة الفتوى والخطابة من سنة 1107هـ إلى سنة 1118هـ، وخلال مناظراته وقع اختلاف بينه وبين مفتي الحنفية النّيار في مسألة فقهية: هل إذا اختلف الزوجان وأمرا بالإقامة عند أهل الفضل، هل يجبران على هذه الإقامة أو على تغيير المسكن؟ فانقسم على إثرها الفقهاء إلى قسمين: قسم وقف إلى جانب النّيار، وقسم وقف إلى جانب أحمد قدورة، غير أن الحاكم وقف إلى جانب مفتي الحنفية وحكم بعزله[47]، وعيّن مكانه الفقيه

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

عبد الرحمان المرتضى، وهو ابن أخت أحمد قدورة[48]، فتولى خطة القضاء وإمامة الجامع الأعظم لثلاث فترات متقطعة، تارة يعزلونه وتارة يعينونه[49].

أما مصير أحمد بن سعيد قدورة فقد كان مأساويا على يد محمد بكداش، فحكم عليه بالسجن ثم بالموت خنقا[50]، بسبب اعتراضه على تولي السلطة[51]، كما حكم على قاضي المالكية بمدينة الجزائر آنذاك الفقيه سيدي علال بن سعيد بن إبراهيم قدورة بالإعدام سنة 1118هـ/ 1706م،[52]، ولم يسلم من بطش هذه المنظومة المفتي الحنفي محمد بن مصطفى الذي حكم عليه الديوان بالموت ومصادرة أملاكه، بسبب موقفه السياسي أيضا[53].

3-ابن العنابي: (ت1267هـ/1850م): اشتهر بتولي الفتوى للعثمانيين على المذهب الحنفي، فكان باشا الجزائر يقدره ويأخذ برأيه في كثير من القضايا أثناء مناظراته مع فقهاء المالكية، وفي سنة 1232هـ ناظر ابن العنابي مفتي المالكية فاختلفا الاثنان وتعارض ذلك مع رغبة الباشا السياسية فقام بعزلهما معا، وأثناء اندلاع ثورة درقاوة ساءت علاقة ابن العنابي بمنظومة الحكم العثماني لاعتبارات كثيرة[54].

4-محمد بن عبد المالك: تولى القضاء على المذهب المالكي، وعلى الرغم من ولائه للعثمانيين، نفاه الداي مصطفى باشا إلى القليعة، بعد الواقعة التي جرت لصهره علي خوجة مع وكيل الحرج بقصر الداي، لكن بعدما تبين برائته عفا عنه وأعاده إلى بلده ومنصبه[55].

5-الحاج المهدي: تولى القضاء لـ20شهرا، ثم عزله الدولاتي حسين خوجة ونفاه إلى بلاد العجم، وأمر من قدموا له الهدايا أن يسترجعوها منه حسب ابن المفتي: اقتحم حشد كبير المركب التي يركبها وأجبر على إرجاع حصة كبيرة مما تلقاه[56]، ومما ذكره سعد الله بشأنه: وليس من الضروري أن تكون دعوى الهدايا صحيحة...ولكن التشهير بالضحية كان إحدى طرق الإرهاب التي يتخذها الولاة ضد ضحاياهم[57].

3-بايلك الغرب الجزائري: استهدفت منظومة الحكم العثماني بهذا البايلك مجموعة من الفقهاء والعلماء، من بينهم:

1-**أحمد بن يوسف الملياني**(ت931هـ/1524م): تعود علاقته بالعثمانيين حسب سعد الله إلى زيارة عروج للملياني واتفاقهما على التعاون المتبادل، مقابل عدم التعرض له ولنسله، كما أن

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

خير الدين قد أرسل للملياني بعد استقراره في الجزائر هدايا ثمينة فبارك الشيخ عمله، وعندما زار ابنه الشيخ ابن مرزوقة الجزائر أهداه خير الدين هدايا كثيرة واعترف به خليفة لوالده في رئاسة الطريقة الشاذلية، كما قاموا بمصاهرته، وربطوا علاقات حسنة مع أتباعه كالشيخ محمد بن عبد الجبار المسعودي الفجيجي التلمساني، ومحمد بن شعاعة[58]، لكن منظومة الحكم تنكرت له في الأخير، بعدما كثر أتباعه وخاضوا في السياسية، وبات من المغضوب عليهم.

2-أبو راس محمد الناصري المعسكري:(ت1238هـ/1823م)[59]: تقلد خطة قضاء مدينة معسكر، ومما زاد في هيبته ومكانته عند أمراء الجزائر وباشواتها وبايات وهران وولاتها، مصاهرته للعالم المعسكري محمد بن فريحة بن الشيخ محمد بن يحي، فاعترفوا به ولقبوه بشيخ الإسلام، وقلدوه إلى جانب القضاء، خطتي الفتوى والخطابة، ومقابل ذلك وقف أبو راس الناصري إلى جانب الباي محمد الكبير، وحارب معه ضد الإسبان في وهران...الخ، لكن يبدو أن علاقة التقارب سرعان ما تحولت إلى علاقة تنافر، حيث تم عزله من هذه الخطط في سنة 1211هـ، بسبب علاقته بثورة درقاوة، ولم يزل على نفوره من العثمانيين حتى سنة 1803 حيث انتقل إلى المغرب وحظي برضا السلطان المولى سليمان بن محمد، فقربه من مجلسه العلمي الذي كان يحضره أكابر علماء المغرب[60].

ولم يسلم من بطش العثمانيين أيضا العالم الزاهد محمد الزجاي[61]، الذي قدم لهم الكثير، هذا إلى جانب ما قام به الباي خليل تجاه كل من سيدي المداني بن عطا الله الغريسي، وسيدي الحاج بن سعيد الشقروني، وسيدي بوترفاس بن محمد الساحلي، حيث قتل الأولان ونجا بوترفاس من بطشه[62].

3- مسلم بن عبد القادر (ت1249هـ/1833م)[63]: تولى منصب باش كاتب لدى الباي حسن آخر بايات وهران، واستمر في وظيفته من 1237هـ إلى 1248هـ، ورغم هذه المدة، فإنه سكت في مؤلفه أنيس الغريب والمسافر في الحديث عن الباي، ربما يعود هذا إلى عدم رضاه عن الحياة داخل القصر، كونه انتفض في الأخير انتفاضة كبيرة ضد هذا الباي، وهجّاه بقصيدة طويلة، جاء في بعض أبياتها:

فانشغلوا بالظلم ليس من عدل فأخذوا أخذ وبيلا بالمهـــل

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

لما نسـوا ما ذكـروا به ختـم عـلى قلوبهـم الله وانتقـم.

4– علماء وفقهاء الطريقة القادرية: حظيت هذه الطريقة لدى منظومة الحكم باحترام وتقدير كبيرين، ويعود السبب في ذلك حسب عبد الرحمان الجيلالي إلى كون السلطان سليمان القانوني ووالده سليم الأول كانا من أتباع القادرية، كما يعود أيضا إلى سياسة منظومة الحكم تجاه المرابطين وشيوخ الزوايا القائمة على المصلحة الدنيوية، ولقد استمر احترام وتقدير علماء وفقهاء الطريقة ردحا من الزمن، وساعدوها على الانتشار[64]، ومن أمثلة ذلك أن أحد بايات وهران قد أسهم في بناء مسجدها، ولعله قد أسهم أيضا في أوقافها كما يذكر سعد الله[65]، ومقابل ذلك ساهمت القادرية في إرساء التواجد العثماني بالغرب الجزائري، كما وقفت ضد خصومهم الدرقاويين والتجانيين.[66].

لكن أثناء المرحلة الأخيرة من حكم الدايات تغيرت معاملة منظومة الحكم مع هذه الطريقة، ومن أمثلة ذلك ما قام به باي وهران مع شيخ الطريقة محي الدين وابنه عبد القادر أثناء توجههما إلى الحج، حيث قام بإلقاء القبض عليهما، وفرض عليهما إقامة جبرية لمدة سنتين بفعل وشاية خصومه لدى الباي[67]، مما ساهم في قطع حبل الوصال بين القادريين والعثمانيين في الغرب الجزائري.

5- **علماء وفقهاء الطريقة الدرقاوية:** تبرز ملامح سياسة منظومة الحكم العثماني تجاههم من خلال النماذج التالية:

– انتقام الباي مصطفى المنزالي– الذي تولى الحكم سنة 1215هـ/1800م– من والعلماء والفقهاء الذين كانت لهم صلة مباشرة بالدرقاويين، ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم، ونظرا للمجازر التي ارتكبها في حقهم قام الداي أحمد بعزله ثم حكم عليه بالإعدام[68].

– قيام الباي محمد بوكابوس بالانتقام من علماء وفقهاء الطريقة الدرقاوية، ومن ينتمي إليها، ومن بين الإجراءات التي قام بها حسب مسلم بن عبد القادر: «وقد أبدع قتلا غير معهود عند الملوك، يتقبض على الرجل، ويأمر زبانيته، فيخرجونه إلى السوق، ويدقون أعضاءه بالمعاول شيئا بعد شيء، حتى يموت كمدا، ويأمر بإقلاع عيني الرجل وهو حي فيقلعان معا، ويطلقه يهوم في البرية، وله في ذلك أنواع مختلفة»[69].

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

– قيام الباي حسن بالانتقام من العلماء وعلى رأسهم الشيخ بن القندوز[70]، المدرس والعالم الجليل بمنطقة مازونة، وعلى الرغم من إخماد ثورة الدرقاوة فقد استمر في عملية الاغتيال والقتل التي راح ضحيتها سنة 1821 العلماء الأجلاء: محمد بن أحمد الصدامي، بن عبد الله بن حوا التجاني، والشيخ فرقان الفليتي[71]، وما نختم به هذا العنصر هو عرضنا لمجموعة من القرائن التاريخية التي تبرز موقع الفقهاء والعلماء في فكر منظومة الحكم العثماني بالجزائر:

أ– المنداسي[72]، بعدما ضاق بمنظومة الحكم العثماني ذرعا كتب قصيدته الهجائية النونية التي جاء في مطلعها:

بَغَى السُّـد ذو القرنيـن للنـاس رحمة فيا ليته من شوكة الترك هنَّانا.

ب– الورتلاني: حمّلهم مسؤولية اندثار العلم والتضييق على أهله: « إن الأتراك قد استولوا في هذه المدينة [يعني بسكرة] على الأملاك والأوقاف والأحباس بما فيها المدارس، حيث أباحوها وسكنوا فيها واستخدموها لأنفسهم، ويشير أن هذه الأسباب هي التي أدت إلى اندراس العلم وأهله في كل نواحي الوطن، التي تعرضت لذلك»[73].

ج– الأخضري يصف لنا حظ العلم والعلماء في زمانه: هذا الزمان الصعب الذي انقرض فيه أكابر العلماء ولم يبق فيها إلّا الحثالة، وغلبت العجمة على قلوب الأنام حتى كاد العلم ينقرض بانقراض أهله، ويقول في أرجوزته القدسية متبرما من أحداث القرن 10هـ[74]:

هذا زمان كثرت فيه البدع واضطربت عليه أمـواج الخـدع

وخفت شمس الهدى وأفلت من بعد ما قد بزغت وكملت

أين رعـاة الدين أهل العلم قـد سلفـوا والله قبـل اليـــوم

د– أبو راس الناصري: رغم معاصرته للباي محمد الكبير، فإنه يقدم لنا صورة قاتمة عن عصره: «في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده، وسدت مصادره وموارده، وخلت دياره ومراسمه، وعفت أطلاله ومعالمه[75]، وقبل تناولنا للعنصر الموالي بودنا الاستشهاد بما ذكره سعد الله: «إن اختلاف النظم السياسية بين المغرب والجزائر كان رحمة على العلماء، فبقدر ما كان سلاطين المغرب يقربون علماء الجزائر ويعطونهم مثاقيل الذهب ويوفرون لهم الكساء والسكن والاحترام، بقدر ما كان باشوات الجزائر يستقبلون بعض علماء المغرب ويقدمون لهم المال والوظيف

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

والوجاهة»[76]، ولكن هذا قليل مقارنة بعلماء وفقهاء الجزائر الذين استقطبهم السلاطين المغاربة واستغلوهم أحسن استغلال، وهذا ما سنقف عليه في العنصر الموالي:

– موقف منظومة الحكم السعدي والعلوي من علماء الجزائر وفقهاءها (من الاستقطاب إلى الاستغلال).

1– الأسرة السعدية: شهدت المرحلة الأخيرة من الحكم الزياني عدة تقلبات سياسية، ساهم فيها أكثر من طرف: العدوان الإسباني، تطلع السعديين لاحتلال تلمسان، التواجد العثماني في تلمسان، مما أدى إلى ظهور عدة تحالفات، كتحالف أبو حمو مع الإسبان ضد العثمانيين، وقيام السلطان محمد الشيخ بتجهيز حملة عسكرية لاحتلال تلمسان، وفي هذا الصدد يقول عبد الرحمان الجيلالي: «نهضت حكومة مراكش بذلك وحاصرت تلمسان وضيقت على أهلها الخناق مدة تسعة أشهر ثم احتلتها يوم الاثنين 23 جمادى الأولى 957هـ، جوان 1550، وبسطت نفوذها على النواحي ونشرت أعلامها على مستغانم وأحوازها وجميع أعمال تلمسان إلى حدود شلف»[77]، إلا أن حسن باشا قام بتجهيز حملة عسكرية أسفرت عن استرجاع تلمسان[78]، لكن تطلع محمد الشيخ لم يزل قائما حتى تخلص منه العثمانيون، من خلال إيفادهم لعدد من الجنود الأتراك فأوهموه بالفرار فائتمنهم وتمكنوا من اغتياله[79].

في ظل هذه الظروف قامت منظومة الحكم العثماني بالانتقام من الفقهاء والعلماء الذين وقفوا إلى جانب السّعديين، وفي هذا السياق وقفنا على حوالي 20 عالما وفقيها انتقلوا إلى المغرب الأقصى هروبا من جور الأتراك وظلمهم، وهم على النحو التالي:

1– محمد بن عبد الرحمان ابن جلال التلمساني (ت981هـ/1574م)[80]: فر إلى المغرب في سنة 958هـ، فحظي بمكانة معتبرة في بلاط السعديين، فكانوا يستدعونه في جمعة أعيان العلماء إلى مراكش، كما اصطحبه السلطان عبد الله الغالب في رحلته إلى سوس، وظل بصحبته حوالي سنة كاملة قلده خلالها الإقراء بالجامع الكبير في المحمدية[81]، تنقل في عدة مدن مغربية كمنطقة السوس، تارودانت، فاس، ، وشغل عدة وظائف جمعت بين التدريس والإمامة والخطابة والفتوى، ولقد طالت أيام رياسته العلمية بفاس فانتفع الناس به حتى بلغ من العمر عِتِيًّا[82]، وظل على هذا المنوال حتى وافته المنية بها في 8 رمضان 981هـ.[83]

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

2- انتقال حوالي 15 عالما وفقيها إلى مدينة فاس في موفى سنة 967هـ/1560م، ، بعدما تعرضوا إلى محن وشدائد من طرف منظومة الحكم العثماني، فاستجاروا بالسلطان عبد الله الغالب الذي تطلّع لاحتلال تلمسان، فاستجارهم ورحلهم من تلمسان إلى فاس وقد ورد ذكرهم في دوحة الناشر على النحو التالي: أحمد بن أحمد العبادي، وأحمد بن محمد العبادي، وأحمد بن زكري التلمساني، وأحمد بن يوسف المليانى وأحمد بن شقرون بن أبي جيده، وأحمد بن القاضي الزواوي، وأحمد بن محمد البجائي، ومحمد بن موسى التلمساني، ومحمد بن أبي مدين التلمساني، وإبراهيم الوجديجي التلمساني، ومحمد بن عبد الرحمان التلوتي التلمساني، ومحمد بن الزنداري التلمساني، ومحمد بن عيسى التلمساني، وأحمد بن ملوكة التلمساني..، ولقد نالوا مكانة رفيعة في بلاط السلطان السعدي ووصل كل منهم على قدر حاله.[84]

3- أحمد العبادي (ت980هـ/1572م)[85]: انتقل إلى فاس، فأكرمه السلطان عبد الله الغالب بمنحه 1000 مثقال ذهبي؛ وأمر له بكساء وإقامة جليلة وقال في شأنه: لا تُسووه بأحد من الفقهاء فإن همته كبيرة[86]، لكنه رجع إلى تلمسان ثم استقر به المقام في مليانة[87].

4- محمد شقرون (ت983هـ/1578م)[88] خرج إلى فاس في حدود سنة 967هـ، فنال مكانة معتبرة عند السلطان عبد الله الغالب، الذي سخّر له كرسيا للتدريس داخل قصره، وقلّده الفتوى ورئاسة العلم بمراكش وسائر أقطار المغرب، ولقد ترك ذرية بالمغرب امتد نسلها حتى القرن 18م، وعندما اندلعت ثورة المولى عبد الملك بن إدريس بآنفا في حوالي سنة 1210هـ/ 1795م، في عهد السلطان المولى سليمان، ارتحل الوجديجي إلى مكناسة واستقر بها[89].

5- ابن الوقاد (ت1001هـ/1593م)[90] بعد انتقاله إلى المغرب تنقل بين عدة مدن كسجلماسة، تارودانت، مكناس الزيتون، فاس، وولي عدة وظائف كالقضاء والخطابة والإمامة، لكنه استقر في الأخير بتارودانت[91]، وجعلها مستقرا لأبنائه من بعده[92]، ومما قاله السلطان المنصور في حقه: «ليس عندنا أخطب من ابن الوقاد إلاّ أن الله اختاره لتارودانت، وإن لم تكن كرسي الخلافة»[93]، و يعتبر أول من قرأ الجامع الصحيح للبخاري بترودانت، وأول من أحي بها ليلة المولد النبوي الشريف[94]، وبعد وفاته خلفه ولده الخطيب أبو زيد عبد الرحمان

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

(ت1057هـ)[95] في علمه وهديه لمدة تنيف عن نصف قرن في التدريس والخطابة بالمحمدية– تارودانت–[96].

ومع مطلع القرن 11هـ/17م، انتقل نفر من علماء الجزائر وفقهائها من تلمسان ووهران وقسنطينة وعنابة، إلى المغرب واستقر أغلبهم بمدينة فاس، وبعضهم الآخر استقر بتطوان ومكناس ومراكش وتارودانت، ويذكر محمد حجي بخصوص موقع هؤلاء العلماء ومكانتهم عند السلاطين السعديين: «وسخي عطاياهم ما سلاهم على الاغتراب ودفع بهم إلى الانكباب على التدريس والتأليف»[97]، ويأتي في طليعتهم أحمد المقّري (ت1041هـ/1631م)[98] الذي انتقل برفقة عائلته نحو فاس في موفى سنة 1009هـ/1600م، فنال مكانة معتبرة عند السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي، ثم انتقل إلى مراكش في نفس السنة، فاستدعاه السلطان وقرّبه إليه وأكرمه، وفي منتصف ربيع الثاني 1010هـ/ سبتمبر 1601م رجع إلى فاس، لكنه سرعان ما غادرها في منتصف ذي القعدة نحو مسقط رأسه تلمسان، وفي أوائل سنة 1013هـ/1604م، عاد من جديد إلى فاس فأسندت إليه في سنة 1022هـ ولاية الفتوى والخطابة والإمامة في جامع القرويين، وفي أواخر شهر رمضان 1027هـ/1618م؛ غادر المغرب معتذرا بالتوجه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج؛ بعدما ترك أهله ومكتبته في المغرب[99].

2-**الأسرة العلوية** (1660-1830): عرفت فترة الحكم العلوي نزوح وفرار عدد معتبر من الفقهاء والعلماء إلى المغرب، خاصة خلال الحملة العسكرية التي قادها محمد بن الشريف (ت1075هـ) على تلمسان وأحوازها سنة 1050هـ، فاضطربت أحوال المغرب الأوسط واشرأبت رعاياه إلى الانتقاض على الترك[100]، ويذكر الناصري(ت1315هـ/1897م)، الأثر الذي خلفته هذه الحملة: « ولما وصل عسكر الترك إلى تلمسان وجدوا البلاد خالية وكل الرعايا قد أجفلت عن أوطانها وتحصنوا بالجبال، وانحرف عنهم أهل تلمسان أيضا، وكانوا قد ركنوا إلى المولى محمد وخاطبوه، فرأى الترك أنهم قد شوركوا في بلادهم وزوحموا في سلطانهم»[101]، فانتقموا من فقهاء الناحية وعلمائها، بسبب موقفهم المعادي للعثمانيين، فنزح عدد هائل منهم نحو المغرب، خصوصا في ظل سياسة استقطاب السلطان المولى الرشيد لهم، ومن بين هؤلاء:

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

1- أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي (ت1088هـ/1677م)[102] عايش بنفسه المذبحة التي قامت بها منظومة الحكم العثماني في حق بعض الأعيان فقتلوهم وهدموا ديارهم وسبوا نسائهم وأبنائهم بعد موافقة المفتي ابن زاغو، فألف قصيدة يهجوهم فيها، مطلعها:[103]

فما الله عن سفك الدماء بغافل ولا يترك الرحمـان حشـاه لعبـانا

رأى شبيبة التوحيد كيف تخضبت بأسمر كالبلسم ظلما وعـــدوانا

وخوفا من بطش منظومة الحكم العثماني فر إلى فاس سنة 1060هـ[104]، فتبوأ مكانة عالية عند السلطان محمد بن الشريف الذي نال عنده مرتبة رفيعة، فمنحه على سبيل المثال نحو 25 رطلا من خالص الذهب جائزة له على أمداحه[105]، وكان له دور كبير في تنشيط الحياة الثقافية بالمغرب، ولكن يبدو أن نهايته كانت أليمة، من خلال الحادثة الطريفة التي وقعت له مع السلطان، فعاد على إثرها إلى تلمسان، لكنه ما لبث أن رجع إلى المغرب ليجد السلطان قد أقلب له ظهر المِجنّ، وعاش عيشة ضنكاء، وظل على هذه الحال إلى غاية وفاته سنة 1088هـ/1677م، حيث تم دفنه خارج باب الجيسة وبني على قبره بيت بروضة ابن جلون[106].

2- أحمد التريكي، أحد تلامذة المنداسي الذين نفاهم الأتراك من تلمسان سنة 1083هـ، فحط رحاله بجبل بني زناتن من قبائل المغرب غرب وجدة، مكث هناك عدة أيام نظم خلالها العديد من القصائد الشعرية.

3- محمد بن عبد الكريم الجزائري (ت 1102هـ)[107] اقتفى أثر المنداسي والتريكي في الفرار نحو المغرب، وحظي هو الآخر بمقام رفيع لدى السلطان المولى إسماعيل[108]، فكان يكرمه ويجلّه ويعظمه.[109]

4- ابن الكماد (ت 1116هـ/1704م)[110]: لم يسلم ابن الكماد بمدينة قسنطينة من جور الأتراك وظلمهم، فهاجر إلى المغرب واستقر بمدينة فاس، لما كان يسمع عن زملائه من حظوة ومكانة، ولقد أفاد ابن الكماد وأجاد بالمغرب، حتى وافته المنية يوم الجمعة 4 محرم 1116هـ، ودفن بالقرب من ضريح سيدي أبي الغالب.[111]

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

5- محمد بن عطية التلمساني (ت 1163هـ) الذي استقر به المقام بجزاء ابن برقوقة؛ كان ملازما لكراسي العلم والوعظ، وبعد وفاته دفن بزاوية شيخه سيدي محمد بن يوسف الحسناوي.[112]

6- عبد الرحمان بن أحمد المنجري الإدريسي الحسني التلمساني (ت1189هـ/1783م)، يعد من كبار العلماء في عصره، انتقل إلى فاس ولقد كانت له اهتمامات كبيرة بعلوم اللغة والمنطق والحديث، إلى أن توفي بها[113].

ومع مطلع القرن 12هـ/18م ازدادت حركة انتقال العلماء والفقهاء نحو مدن مغربية أخرى كتطوان، وهذا ما أشار إليه الرّهوني في عُمدته كالفقيه هاشم القسنطيني الذي كان عدلا بتطوان سنة 1158هـ/1745م، ومحمد التلمساني (توفي سنة 1202هـ/1787م)[114] الذي كان من شيوخ السكيرج، وقرأ عليه مختصر خليل بشرح الزرقاني، ومحمد بن عبد القادر ابن مرزوق الذي كان إماما في الفقه والنحو والبيان والتفسير، هذا إلى جانب الفقيه أحمد بن محمد إسماعيل الذي تولى خِطة العدالة من 1190-1776م إلى 1207هـ/1793م، ومحمد الذي حضي بمنصب قائد المخزنية بحامية تيطوان، والفقيه سيدي محمد النكروف البوعناني، الذي كان مقيما بحاضرة وجدة سنة 1203هـ؛ ويشغل منصب القضاء إلى جانب إدريس بن صالح النكروفي الذي شغل نفس الخطة في سنة 1233هـ[115].

ومع مطلع القرن 19م تدهورت الأوضاع السياسية في الجزائر، بسبب الثورات الشعبية، والتي كانت لها انعكاسات سلبية على العلماء والفقهاء، الذين اتهمتهم منظومة الحكم بالوقوف وراءها، ومن بين العلماء الذين فروا من إلى المغرب بحثا عن الأمن الاستقرار:

1- البوجلالي المعسكري هاجر إلى فاس؛ درّس بالمدرسة المصباحية سنة 1170هـ/1756-1757م وكان الشيخ العربي الدرقاوي يكثر من ملاقاته، توفي بفاس سنة 1277هـ، ودفن بمسجد سيدي أبو مدين الغوث.[116]

2- الفقيه سيدي محمد بن الكندوز المستغانمي، هاجر برفقة أسرته سنة 1813 نحو مدينة وجدة.[117]

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

3- شارف بن عبد الله تكوك الدرقاوي: فر إلى المغرب ولم يرجع إلى بلاده إلى بعد الاحتلال الفرنسي لوهران سنة 1832م حسب الكتاني، بينما يرى عمار هلال أن عودته كانت سنة 1276هـ، وأسس زاوية سنوسية في بوقيرات التي تبعد بحوالي 30 كلم عن مستغانم.[118]

4- سيدي محمد بن سعيد بن الحاج الحسني التلمساني: رغم توليه منصب القضاء للعثمانيين بتلمسان إلا أنه هرب هو وعائلته واستقر بفاس، وبعد مبايعة أهل تلمسان للسلطان عبد الرحمان بن هشام عاد إليها، لكنه لم يستقر بها حيث عاد إلى فاس من جديد بعد احتلال تلمسان سنة 1836، واستقر بها نهائيا حتى وفاته المنية في 17 محرم 1264هـ/26 ديسمبر 1846م.[119]

5- الفقيه محمد بن الخضر الإغريسي لجأ برفقة عائلته نحو مدينة فاس، وكان له باع كبير في الإمامة والصلاة إلى أن وافته المنية بفاس يوم 18رمضان 1292هـ/18 أكتوبر 1875م.[120]

6- بوعزة التلمساني المهاجي: يعد من المقربين لمولاي العربي الدرقاوي،كان عالما مهابا ممن يعمرون الزوايا لنشر العلم وبث الدين وهداية الناس[121]، حيث كانت له زاوية بتلمسان وأخرى بوجدة، له فيهما أتباع ومريدين، توفي في ربيع الأول 1277هـ/سبتمبر 1861م[122]، ودفن بمسجد سيدي أبي مدين الغوث بأقصى حومة الرميلة من عدوة فاس الأندلس.[123]

7- الفقيه سيدي الطيب بن زاوية المعسكري: لجأ إلى مدينة وجدة، واستقر بربع أولاد عمران، وبوجدة يكون قد اشتهر من هذه العائلة كل من الفقيه سيدي محمد الحاج أحمد بن زاوية، والحاج محمد بن زاوية، وولده الحاج المصطفى السروجيان حرفة[124].

8- الشيخ أحمد التجاني(ت1230هـ/1814م): على اثر مراسلة باي وهران لسكان منطقة بوسمعون قصد إلقاء القبض على التجاني أو طرده من وسطهم، فر خفية سالكا طريق الصحراء نحو مدينة فاس، مع عائلته ونفر من أتباعه وأنصاره كسي محمد بن المشري، في حدود 17 ربيع الأول 1213هـ، وقد تمكن من الوصول إلى مدينة فاس يوم 6 ربيع الثاني 1213هـ[125]. ومما ذكره سعد الله بشأنه: «إن التجاني هاجر بعد أن أحس بالمضايقات في الجزائر من جانب بايات الغرب»[126]، ونفس الطرح قدمه السّليماني: «ولما استفاض أمره هناك بوطن الجزائر نفته الحكومة التركية خوفا من عائلته فانتقل بأهله وولده إلى فاس أيام أمير المؤمنين مولاي

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

سليمان»[127]، بينما جاء في تحفة الزائر: «شاع أمره في وطنه وخاف من غوائل الحكومة، انتقل بأهله وأولاده إلى فاس في أيام سلطانها مولاي سليمان العلوي»[128].

وعندما حلّ التجاني بفاس بعث إلى السلطان: «يعلمه بأنه هاجر إليه من جور الترك وظلمهم واستجار بأهل البيت الكريم، فقبله السلطان وأذن له في الدخول عليه والحضور بمجلسه، ولما اجتمع به ورأى سمته ومشاركته في العلوم أقبل عليه واعتقده وأعطاه دارا معتبرة من دوره كان أنفق في عمارتها نحوا من عشرين ألف مثقال ورتب له ما يكفيه»[129]، وتذكر معلمة المغرب: «إن السلطان المولى سليمان استقبله أحسن استقبال وأنزله على الرحب في دار المرايا بفاس وصار يتردد للاقتباس من علمه والغرف من معين هديه»[130]، ولقد ظل التجاني على هذا الحالة والمكانة إلى أن وافته المنية بفاس في 15 شوال 1230هـ/1814م، ودفن بزاويته المشهورة من حومة البليدة[131].

– مجالات استغلال وتوظيف منظومة الحكم السعدي والعلوي للفقهاء والعلماء الجزائريين بالمغرب: جاءت عملية استغلال هؤلاء العلماء والفقهاء في فضاءات متعددة، بتعدد كفاءاتهم ووظائفهم التي كانوا يمارسونها في الجزائر، وهذا ما يمكننا الوقوف عليه في ما يلي:

1– في المجال الثقافي: يمكننا الوقوف على مدى استغلالهم في هذا المجال من خلال العناصر التالية:

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

أ- **التعليم (التدريس)**: تأتي هذه الوظيفة على قائمة الوظائف التي شغلوها بالمغرب، نظرا للعدد الهائل من العلماء والفقهاء الذين اشتغلوا بها، وهذا ما يوضحه الجدول الموالي الذي راعينا فيه ترتيب

العالم، الفقيه	مكان توليه الوظيفة
ابن الوقاد	سجلماسة، تارودانت: كان بارعا في تدريس اللغة العربية وقواعدها، كما قام بإقراء صحيح البخاري لعدة مرات، مكث حوالي نصف قرن في وظيفته.
محمد بن جلال التلمساني	جامع الأندلس + الجامع الكبير بتارودانت + فاس: تولى في الأول التدريس، وفي الثاني الإقراء استقر في البداية بمنطقة السوس حوالي سنة كاملة
ابن الكماد	فاس: إقراء جمع الجوامع للسبكي، فأبدع في إقرائه وأفاد وأجاد.
محمد ابن عطية التلمساني	فاس/ جزاء ابن برقوقة: كان يقدم دروس في الوعظ والإرشاد
أبو زيد عبد الرحمان	المحمدية : اشتهر بتدريس اللغة العربية وأحكامها
أبو محمد عبد القادر شقرون	فاس: درّس اللغة العربية وقواعدها
البوجلالي المعسكري.	فاس: درس بالمدرسة المصباحية في حدود سنة 1170هـ/1756-1757م.
المقري التلمساني	جامع القرويين بفاس: تدريس العلوم الفقيهة والشرعية والنحوية
محمد بن الأخضر الغريسي	فاس+ جامع الرصيف: اللغة العربية وقواعدها النحوية
محمد التلمساني	تطوان: تتلمذ على يديه الشيخ السكيرج، كما قرأ عليه مختصر خليل بشرح الزرقاني.
محمد بن شقرون	فاس: نصب له السلطان محمد الغالب كرسيان للتدريس الأول داخل قصره، والثاني خارجه: درس مختصر ابن حاجب الفرعي والأصلين والبلاغة، كما أجاز جمهور كبير من العلماء والطلبة.
عبد الرحمان بن أحمد المنجري الإدريسي الحسني التلمساني	فاس: برز في علوم اللغة والمنطق والحديث، يعد من كبار العلماء في عصره، نظرا لطول مكوثه بفاس بات يلقب بالفاسي
عبد الرحمان الحسني التلمساني	فاس:برز في علوم اللغة العربية والمنطق والحديث

هؤلاء العلماء ترتيبا أبجديا:

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

2- الإمامة والخطابة والإفتـاء:

العالم، الفقيه	مكان توليه الوظيفة.
ابن جلال التلمساني (الفتوى، الخطابة)	فاس: جامع الأندلس
ابن الوقاد (الخطابة)	سجلماسة، مكناس الزيتون، فاس، (بجامع الأندلس) تارودانت: مكث حوالي 15 سنة في مهنته، رسخ من خلالها اللسان العربي الفصيح.
أبو زيد عبد الرحمان (ولد ابن الوقاد)	المحمدية: مكث حوالي 50 سنة في وظيفته التي أحسن أدائها.
المقري التلمساني (الفتوى والإمامة معا)	جامع القرويين بفاس
محمد بن شقرون (الفتوى)	مراكش: تولى أيضا رئاسة العلم بمراكش، وفي سائر أقطار المغرب.
محمد بن الخضر الغريسي (الإمامة)	فاس/ جامع أعلا عقبة بن صوال
محمد بن عبد القادر بن مرزوق	تطوان: كان إماما في الفقه والنحو والبيان والتفسير

3- القضاء (العدل):

العالم، الفقيه	مكان توليه المنصب أو الوظيفة
ابن الوقاد	تارودانت، سجلماسة: مكث بالأولى 16 شهرا في خطة القضاء، ثم أعفي ووجه إلى سجلماسة.
أحمد بن محمد بن اسماعيل	تطوان: تولى خطة العدالة في الفترة الممتدة من 1190-1207هـ/ 1776-1793م.
محمد النكروف البوعناني + إدريس بن صالح النكروفي	أقاما بحاضرة وجدة الأول تولى القضاء سنة 1203هـ، ثم تلاه الثاني بتوليه القضاء سنة 1233هـ.
هاشم القسنطيني	تطوان: كان فقيها متميزا

4- الشعر والأدب: ساهم نفر كبير منهم في تنشيط هذا الحقل المعرفي، ومن بين الأغراض الشعرية التي برزوا فيها:

- المدح: أبو محمد عبد القادر شقرون: هو أحد أحفاد محمد شقرون الوجديجي، ألف قصيدة يشيد فيها بالسلطان الغالب ويمتدحه[132]:

مولاي أنت الذي صفت مشاربه إن تغر ناحية أوليتها جلدك

فاصعد على منبر الإقبال معتليا فالسعد أنجز ما كان به وعدك في المدح

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

– المنداسي: وهذا من خلال قصائده المولدية التي قالها في مخاطبة المولى الرشيد:

هـاك الدر النفيس الزهر مـا نظمـه سعيـد في سلك الإبريز

في مولـد الماحـي المطهر شهر الربيع الفضيل عند الناس عزيز

كما نال مكانة معتبرة عند السلطان المولى إسماعيل، حيث أصبح المنداسي من بين شعراء البلاط الذين خصّهم السلطان بعطفه ورعايته، ومن أشعاره في مدح السلطان[133]:

دار بقطـر سـوس الأقصى دور فلك بثواقب الرجم تهو ى من الأفلاك

طبعه مـن طبـع الذهب يصفـي مـا ينكر التبر إذا شافه سباك بالدلك

الفخر: برز فيه ابن الكماد الذي وقعت له حادثة مع قاضيها الفقيه أبي عبد الله بن قريشي[134] فكتب له قصيدة من الشعر جاء فيها[135]:

لهف نفسي على كسوف شموس للعلـوم وذلـــة الغـــربـاء

لهف نفسي على زمـــان عبـوس قمطرير ذي قسمة ضيزاء

5- **المناظرات اليومية:** من بين الذين برزوا في هذا المجال المقري والمنداسي، هذا الأخير الذي ذاع صيته في عهد المولى الرشيد، فحسده شعراء المغرب وعابوا عليه شعره قائلين: إن موازين شعر المغرب الأوسط يقدر على الإتيان بمثلها صبياننا لأن غالبه يتمشى على حرفين فلو ارتكبتم ما نرتكب من التفنن لما وجدتم معنى أصلا، فعندنا من ينظم الرباعي والخماسي وحتى العشاري، فلما رأى المنداسي منهم ذلك الإنكار ذهب من فوره وقال قصيدة بليغة من الثنائي عشر وأتى بها إليهم فعلموا حينئذ أنه بحر لا يطاق[136].

هذا إلى جانب الفقيه أبو زيد عبد الرحمان الذي كان يقوم بمحاورات مع فقهاء المغرب كالقاضي أبي مهدي السِّجستاني الذي راجعه في أرض تارودانت هل يصح تملكها أم لا؟ وأبو راس محمد الناصري المعسكري الذي كان يعقد في مجلس السلطان سليمان بن محمد مناظرات يحضرها السلطان وأكابر العلماء في المغرب، فيتكلم فيها في فنون شتى، وكان فيمن حضر تلك المجالس الطاهر بن كيران وعبد القادر بن شقرون وابن حمدون وغيرهم، فأذعن له الجميع وشهدوا له بالعلم والمعرفة والفضل[137].

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

6- **حركة التأليف:** من بين الذي اشتهروا بحركة التأليف المقري: روضة الآس العطرة الأنفاس، والمقصورة حول سور من القرآن الكريم، وأزهار الكمامة في أخبار العمامة، كما كتب في تحريم الدخان جوابا سماه محدد السنان في نحور إخوان الدخان، وأبوراس الناصري الذي ألف ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس، الزهرة الوردية في ملوك الدولة السعدية، العز المتين في ذكر بني مرين، روضة السلوان المؤلفة بمرسى تطوان[138]، محمد شقرون ألف شرح الأرجوزة التلمسانية في الفرائض المحمدية[139]، أبو القاسم بن سلطان القسنطيني (ت999هـ/1591م) الذي كان مقيما بتطوان، كان مناصرا للسنة محاربا للبدعة، فألف كتابا في الرد على الطائفة الأندلسية الضالة.[140]

7- تزويد المغرب بالكتب والمخطوطات النادرة، وخير مثال على ذلك مكتبة المقري، ومكتبة أحمد التجاني، ولم تتوقف هذه العملية حتى بعد سقوط الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي سنة 1830، فهذا أبو حامد العربي المشرفي مثلا عندما انتقل إلى المغرب حمل معه خزانة كتبه في شكل قافلة كبيرة[141]، ولا تزال مخطوطاته تحقق بين الحين والآخر من طرف الباحثين المغاربة.

– في المجال السياسي: يمكننا الوقوف على مساهماتهم في هذا المجال من خلال المعطيات التالية:

– الوقوف إلى جانب السلاطين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبر منابر الوعظ والإرشاد، وفي نفس الوقت تقديم النصح والإرشاد لذوي السلطان والنفوذ والجاه، والجهر بكلمة الحق كما فعل المقري عندما رفض إصدار الفتوى لمحمد الشيخ المأمون، على جواز افتداء أهله من يد الأسبان بمنحهم مدينة العرائش[142].

– دعم السلاطين المغاربة المادي والمعنوي، فهذا الفقيه أحمد بن محمد إسماعيل، نجده مثلا كان من بين الفقهاء الُموقعين على وثيقة بيعة مولاي سعيد ابن السلطان مولاي اليزيد بتطوان في 12 جمادى الثانية 1236هـ/17 مارس1821 [143].

– استغلالهم في ضرب استقرار الجزائر، وخير مثال على ذلك ما قام به عبد القادر بن الشريف الساحلي الدرقاوي؛ عندما ثار ضد الأتراك بتحريض من سلطان فاس مولاي سليمان[144]، وشيخ الطريقة الدرقاوية بالمغرب مولاي العربي، وكادت الأمور تخرج عن السيطرة، لولا تجهيز

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

منظومة الحكم العثماني لقوات كبيرة للقضاء على التمرد، بعدما أدركوا أبعادها السياسية الخارجية، وللعلم أن هذه الحركة لم تخمد بشكل كبير إلا بعد إجراء اتصالات سياسية بين الجزائر والمغرب على المستوى الرسمي[145]، أما أحمد التجاني فقد ساهمت عملية استقطابه في استقرار أوضاع السلطان المغربي حسب ما ذكره حسين مؤنس[146]، في ظل الارتباط الوثيق بين تجانية الجزائر والمغرب، خصوصا الأنصار الذين عمل السلطان على كسبهم واحتوائهم للحفاظ على استقرار المغرب السياسي، عكس ما كان يجري في الجزائر.

خاتمة: من خلال ما سبق ذكره يمكن عرض النتائج التالية:

– مراهنة منظومة الحكم العثماني على العلماء والفقهاء في تمرير مشروع الوجود العثماني بالجزائر، والتستر وراء الدين الإسلامي، وهذا ما يذكره حمدان خوجة حمدان: « كانوا يظهرون أنفسهم في مظهر حماة الدين ويمتنعون عن القيام بكل ما هو مناف للقوانين، ثم هناك وسيلة ثالثة عرضية فحواها أن الترك يقيمون الصلاة بانتظام مما جعل البرابرة يتصورون أنهم مرابطون وصالحون»[147].

– علاقة منظومة الحكم العثماني بالعلماء والفقهاء كانت علاقة هشة وظرفية مصلحية، حيث سرعان ما تتحول وتتبدل في ظل رفض هؤلاء الفقهاء والعلماء لرغبة الحكام أو معارضتهم، وفي ظل وجود ولاءات جزائرية جديدة.

– رد فعل منظومة الحكم كان يتميز بالعنف والقسوة تجاه العلماء والفقهاء، كان في كثير من الأحيان ينتهي إلى العزل، ثم الانتقام، اغتيالا أو نفيا، مما ساهم في فرار مجموعة معتبرة منهم نحو المغرب الأقصى.

– إن سياسة النفي والاضطهاد قد ضيّعت بموجبها منظومة الحكم العثماني فرصة ثمينة على الجزائر، التي كانت في أمس الحاجة إلى مثل هذه الكفاءات، والسؤال المطروح هنا هو: هل يكمن السبب في طبيعة هذه المنظومة غير المثقفة كما وصفها سعد الله؟ أم يكمن في ذلك الصراع القائم بين السياسي الجاهل والمثقف الكفء، وفق ما يذكره ماكس فيبر في كتابه العالم والسياسي، والكواكبي في كتابه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد؟.

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

– قدرة منظومة الحكم العثماني في المغرب سواء السعدية منها أو العلوية على استقطاب واحتواء هؤلاء العلماء، والاستفادة منهم في مختلف مناحي الحياة اليومية كالتدريس، الفتوى، القضاء، الإمامة، الخطابة، التأليف، الرأي والمشورة...الخ، مما ساهم بلا شك في إعطاء دعم قوي للحياة الثقافية بالمغرب السعدي والعلوي.

– إذا كان علماء وفقهاء الجزائر قد نالوا حظوة ومكانة بالمغرب، فهذا العمل لم يكن خاليا من أي أبعاد سياسية، وهذا من خلال توظيف البعض منهم لضرب استقرار منظومة الحكم العثماني كما فعلوا مع الدرقاويين، وفي المساهمة استقرار الوضع السياسي بالمغرب كما فعلوا مع التجانيين، والسؤال المطروح هنا هو: هل أدرك هؤلاء البعد السياسي لنشاطهم بالمغرب؟.

– إن جل الفقهاء والعلماء الذين استقروا في المغرب أظهروا كفاءة علمية متميزة، ولهذا وُظّفوا كل حسب اختصاصه، وإذا كنا لا ننكر دور السلاطين في الإنعام عليهم فإنهم قد أكلوا من عرق جبينهم، ولم يمدوا أيديهم لأي طرف كان، ومن جانب السلاطين فإنهم وجدوا هامات وطاقات وقامات جزائرية جاهزة، استُغرق في تكوينها عشرات السنين، وعليه فهم بقدر ما أفادوا استفادوا.

– لم يكن يخلو عمل السلاطين السعديين أو العلويين من الجحود والإنكار لبعض علمائنا وفقائهنا الذين رفض البعض منهم السير في فلك السلطان ودائرته، حيث سرعان ما كانت تتحول علاقة التقارب والتجاذب إلى علاقة تنافر وتباعد، وخير مثال على ذلك ما وقع مع المقري، المنداسي، المشرفي...الخ، معنى ذلك أن منظومة الحكم العثماني كانت تشترك في عدة نقاط مع منظومة الحكم السعدي والعلوي حول موقع العلماء والفقهاء، إذا تعلق الأمر بموقفهم السياسي، فهم إما أن يكونوا علماء وفقهاء للبلاط فينالوا المراتب العليا والمكانة اللائقة بهم أو لا يكونوا.

الهوامش:

1- خير الدين، بربروس: مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة وتعليق محمد دراج، ط2، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1434هـ/2013م، ص78.--- 2- نفسه، ص78.---3- كورين، شوفالييه: الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ، ص29.---4- محمد، دراج: الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس 1512-1543، تصدير ناصر الدين سعيدوني، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1433هـ/2012م، ص372.---5- كورين، شوفالييه:

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

المصدر السابق، ص32.---6- هو الفقيه العالم المدرس أبو العباس أحمد بن أحمد ابن القاضي، يراجع: الدخول العثماني للجزائر ص-ص395-396.---7- كورين، شوفالييه: المصدر السابق، ص25.---8- محمد، دراج: المرجع السابق، ص207.---9- نفسه، ص-ص395-397.---10- مذكرات خير الدين بربروس: المصدر السابق، ص112.---11- كورين، شوفالييه: المصدر السابق، ص48، يراجع أيضا: تاريخ الجزائر العام، ج3، ص49.---12- مذكرات خير الدين، المصدر السابق، ص108.---13- نفسه، ص109.---14-نفسه، 110.---15- كورين، شوفالييه: المصدر السابق، ص48.---16- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج1، ص211، يراجع أيضا: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، ص28.---17- عبد الرحمان بن محمد، الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1415هـ/1994م، ج3، ص92.---18- ساندت عائلة الفقون العثمانيين منذ دخولهم إلى قسنطينة سنة 1522 وإلى غاية مطلع القرن 19 حيث ساءت علاقاتهما. يراجع: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص-ص519-525.---19- محمد الصالح، بن العنتري: فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاؤهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص27.---20-نفسه، ص45.---21-نفسه، ص-ص45-46. ---22- عبد الكريم، الفقون: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق وتعليق وتقديم، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/ 1987م، ص98.--23- عبد الرحمان بن محمد، الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3، المرجع السابق، ص94.-- 24- محمد الصالح، بن العنتري: المصدر السابق، ص38.---25-نفسه، ص-ص70-71.---26-نفسه، ص72.---27-نفسه، ص73.---28- محمد المهدي بن علي شعيب: أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة، مطبعة البعث، قسنطينة، 1400هـ/ 1980م، ص269.---29- شدري، رشيدة معمر: العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات 1971-1830، رسالة ماجستير، مرقونة جامعة الجزائر، 2005-2006،، ص173.---30- أوجين، فايست: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي 1792-1873، ترجمة صالح نور، تقديم الشيخ عبد الرحمان شيبان، ط1، دار قرطبة، الجزائر، 1432هـ/2010م، ، ص268.---31-نفسه، ص61. ---32- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص219.---33- محمد الصالح، بن العنتري: المصدر السابق، ص65 هامش.---34- أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، عالم المعرفة، دار الرائد، الجزائر، 2009، ج2، ص326.---35- محمد المهدي بن علي شعيب: المرجع السابق، ص403.---36- عبد الرحمان بن محمد، الجيلالي: المرجع السابق، ص-ص316-317.---37-نفسه، ص317.---38- كورين، شوفالييه: المصدر السابق، ص85.---39- حمدان بن عثمان، خوجة: المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص129.---40- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص146.---41- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: المرجع السابق، ص106.---42- ابن المفتي حسين بن رجب: تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمع واعتناء فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص28.---43- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص357.---44- ابن المفتي، المصدر السابق، ص-ص97-99.---45- عالم وفقيه، مفسر ومحدث، كلفه والده رغم صغره بتولي الفتوى والخطابة والتدريس، فتولاها من 1066هـ/1655م إلى-1107هـ/1695م)، يراجع: ابن المفتي، ص-ص98-101.---46- ابن المفتي: المصدر السابق، ص99.---47- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص449.---48-نفسه، ص357.---49- ابن المفتي، المصدر السابق، ص101.---50- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص357.---51- شدري، رشيدة معمر: المرجع السابق، ص 164.---52- ابن المفتي، المصدر السابق، ص.106

53- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص418.---54- أبو عمرا ن الشيخ وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، ص393.---55- أحمد الشريف، الزهار: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تحقيق أحمد توفي المدني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، 82.---56- ابن المفتي: المصدر السابق، ص104.---57- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص، 418. ---58-نفسه، ص465.---59- عبد الرحمان بن محمد، الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3، المرجع السابق، ص570.---60-نفسه، 571-572. ---61- أبو القاسم، سعد الله:

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص222.---62- شدري، رشيدة معمر: المرجع السابق، ص165.---63- مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م، ص47.---64- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص223.---65-نفسه، ص514. ---66-محمد بن عبد القادر، الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعلق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، 1384هـ/1964م، ج1، ص-ص115-116.---67- يحي، بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، دار الهدي، الجزائر، 2009، ج1، ص148، يراجع: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص223.---68--محمد بن عبد الرحمان، الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3، المرجع السابق، ص562.---69- مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص98، تولى بوكابوس الحكم سنة 1233هـ/1808م.---70- شدري معمر، رشيدة: المرجع السابق، ص167.---71- نفسه، ص167.---72- مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص47.---73- مختار بن الطاهر، فيلالي: رحلة الورتلاني عرض ودراسة، دار الشهاب، باتنة، 1998، ص166، يراجع أيضا: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص251.---74- عبد الرحمان بن محمد، الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3، المرجع السابق، ص480.---75- أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص316.---76-نفسه، ص439. ---77- عبد الرحمان بن محمد، الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3، المرجع السابق، ص85.---78- أحمد توفيق، المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص. 327.---79- شارل أندري، جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية من الفتح الإسلامي إلى 1830، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ج2، ص268.---80- هو محمد ابن عبد الرحمان ابن جلال، أبو عبد الله التلمساني، ولد بتلمسان سنة 908هـ/ 1502م، اشتهر بعلمه ومكانته وارتباطه بالسلطان السعدي. يراجع كل من: البستان، ص-ص. 260-261، معجم أعلام الجزائر، ص. 78، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص. 426.---81- محمد، حجي: الحركة الفكرية في المغرب في عهد السعديين، مطبعة فضالة، 1398هـ/ 1978م، ج2، ص-ص412-413.---82- أبو القاسم محمد، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، تقديم محمد رؤوف القاسمي الحسني، موفم، الجزائر، 1991، ج2، ص258.---83-نفسه، ص259. ---84- الزهراء، نظام: العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/ 16م، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة محمد الخامس، 1414هـ/ 2003م، ص. 504.---85- هو أحمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب العبادي التلمساني، أبو العباس؛ من فقهاء المالكية. يراجع: معجم أعلام الجزائر، ص65،--86-محمد ابن عسكر الحسني، الشفشاوني: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب منذ مشايخ القرن العاشر، مراجعة عبد الحميد خبالي، ط3، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي+ مطبعة الكرامة، الدار البيضاء + الرباط. 1424هـ/ 2003م، ص. 108.---87- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص45.---88- هو محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي، المعروف بشقرون التلمساني، ولد بتلمسان حوالي سنة 908هـ/ 1503م؛ وبها نشأ وتعلم، يعد من أكابر فقهاء المالكية، وولي الإفتاء بتلمسان وعرف بمالك الصغير في وقته، له مشاركة في علوم المنطق والفرائض والبيان. يراجع: عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 188.---89- أحمد الناصري، السلاوي: الاستقصا، تحقيق وتعليق أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001، ج6، ص. 130.---90- هو محمد بن أحمد المعروف بابن الوقاد، ولد ونشأ بتلمسان، ثم انتقل إلى المغرب، قاض وعالم بالتفسير والحديث. يراجع: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، ص. 187.---91- محمد، الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص256.---92- عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص343.---93- أبو القاسم محمد، الحفناوي، ج2، المصدر السابق، ص187.---94- محمد، حجي: الحركة الفكرية في المغرب في عهد السعديين، ج2، المرجع السابق، ص412.---95- هو أبو زيد عبد الرحمان بن محمد التلمساني المعروف بابن الوقاد. كان إماما مشاركا في عدة فنون، منقطع القرين في خفض الجناح ولين الجانب. يراجع: معجم أعلام الجزائر، ص343.---96- محمد، حجي: جولات تاريخية، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995، ص541.---97- محمد، حجي: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، مطبعة فضالة، المغرب، 1977، ج1، ص-ص 68-69.---98- هو أحمد بن محمد، أبو العباس المقّري التلمساني، ولد بتلمسان في سنة 986هـ/ 1578م، وبها نشأ وتعلم؛ انتقل إلى فاس سنة 1009هـ/ 1600م؛ ثم مراكش، ثم عاد إلى فاس، لكنه سرعان ما غادرها نحو تلمسان، وفي أوائل سنة 1013هـ/ 1604م، رجع

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

إلى فاس من جديد، ليمكث هناك حوالي 14سنة، توجه إلى الحج سنة 1028هـ/ 1619م مرورا بالقاهرة التي استقر بها حوالي 60 يوما، ثم زار القدس الشريف والشام، توفي بالقاهرة في جمادى الآخرة 1041هـ/ 1631م، يراجع: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 1، ص. 52.-99- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص215.---100- أحمد الناصري، السلاوي،ج6، المصدر السابق،ص 30.---101-نفسه، ج3، ص31. ---102- ولد ونشأ بتلمسان، درس علوم اللغة والنحو والصرف والبلاغة والعلوم الشرعية؛ ونبغ في الشعر الفصيح والشعبي فهو شاعر بالملحون؛ من أهم آثاره العقيقة القصيدة التي قالها في مدح الرسول(ص)، وشرحها الشيخ أبو رأس المعسكري سبعة شروح، وهي من الملحون قالها في بلاط السلطان المولى إسماعيل بمكناس سنة 1088هـ/ 1677م. يراجع: معجم أعلام الجزائر، ص. 68، ديوان سعيد بن عبد الله التلمساني المنداسي، ص. 5.---103-سعيد بن عبد الله التلمساني، المنداسي: ديوان المنداسي، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص-ص6-9. ---104-نفسه، ص10. --- 105- أبو حامد العربي، المشرفي: ياقوتة النسب الوهاجة، مخطوط، الخزانة العامة بالرباط، رقم 1534 د، ورقة 1، ص. 21.---106- أبي عبد الله محمد بن جعفر، الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل وآخرون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب ، 2004، مج2، ص185.---107- هو أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الكريم الجزائري ويقال: أبو الجمال، الشريف الحسني نزيل فاس، عالم وأديب من الفقهاء، أخذ عن نحو سبعين شيخا من علماء المغرب والمشرق، وأجازه آخرون. يراجع: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، ص-ص. 264-266: معجم أعلام الجزائر، ص. 110.---108- أحمد توفيق، المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص. 68.---109- أبي عبد الله محمد بن جعفر، الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، مج2، المصدر السابق، ص185.-110- هو محمد بن أحمد القسنطيني الشريف الحسني المعروف بابن الكماد، ولد بقسنطينة وبها نشأ وتعلم، ثم هاجر إلى المغرب، واستقر بمدينة فاس. يراجع كل من: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، ص-ص. 180-183، معجم أعلام الجزائر، ص. 274---111- أبو القاسم محمد، الحفناوي، ج2، المصدر السابق، 182.---112- أبي عبد الله محمد بن جعفر، الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج1، المصدر السابق، ص403.---113- عمار، هلال: ((العلماء الجزائريون في فاس))، مجلة الدراسات التاريخية، ع9، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1415هـ/1995م، ص37.---114- إدريس، بوهليلة: ((العائلات الجزائرية بتطوان من خلال مخطوط عمدة الراوين لأحمد الرهوني))، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع10، جامعة الملك السعيد، مطبعة ألطوبريس، تطوان، 2000، ص-ص306-307.---115- ابن عودة، المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، ط2، ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ج1، ص354. يراجع أيضا: خطط المغرب الشرقي، ص93.---116-محمد، الخداري: دور الزوايا والطرق الصوفية في العلاقات بين المغرب وولاية الجزائر، حالة الزاوية الدرقاوية من ^{1786}_^{1823}، أطروحة دكتوراه، إشراف عبد الرحمان المودن، شعبة التاريخ، جامعة محمد الخامس، السنة الجامعية ^{2004}_^{2005}، مرقونة، ص[149].---117- بدر، المقري: خطط المغرب الشرقي، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة إليت، الحي الصناعي بالوجلة، سلا، الرباط، 1427هـ/ 2006م، ص79. ---118- أبي عبد الله محمد بن جعفر، الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج3، المصدر السابق، ص250، يراجع: معجم أعلام الجزائر، ص63، هلال، عمار، ص-ص40-41. ---119-نفسه، ص251. ---120- أبو القاسم محمد، الحفناوي، ج2، المصدر السابق، ص205، يراجع أيضا: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج3، ص102.---121- أحمد توفيق، المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر، المرجع السابق، ص73.---122- أبي عبد الله محمد بن جعفر، الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج3، المصدر السابق، ص251.---123-نفسه، ج1، ص415. ---124- بدر، المقري: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص172.---125- صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1831، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2005، ص176.---126- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص135.---127- ابن عبد الله، السليماني: اللسان المعرب عن تحافت الأجنبي حول المغرب، ط1، مطبعة الأمنية، الرباط. 1391هـ/ 1971م، ص. 104.---128- محمد بن عبد القادر، الجزائري: تحفة الزائر، شرح وتعليق ممدوح حقي، ط2، دار اليقظة العربية، بيروت، 1384هـ/ 1964م، ج1، ص.

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

125---129- أحمد الناصري، السلاوي، ج7، المصدر السابق، 136.---130- معلمة المغرب ، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، الرباط، 1413هـ/1992م، ج7، ص2282.---131- أبي عبد الله محمد بن جعفر، الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج1، المصدر السابق، 199.---132- أحمد الناصري، السلاوي: الاستقصا، ج6، المصدر السابق، 130.---133- سعيد بن عبد الله المنداسي، التلمساني: الديوان، المصدر السابق، ص16.---134- أحمد توفيق، المدني: محمد عثمان باشا، المرجع السابق، ص69.---135- أبو القاسم محمد، الحفناوي، ج2، المصدر السابق، ص162.--- 136- عباس، الجراري: القصيدة (الزجل في المغرب)، ط1، مطبعة الأمنية، الرباط. المغرب، 1390هـ/ 1970م، ص606. ---137- عبد الرحمان بن محمد، الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3، المرجع السابق، ص-ص573-574.---138-نفسه، ص576. ---139- محمد، حجي: الحركة الفكرية في المغرب في عهد السعديين، ج2، المرجع السابق، ص416.---140- نفسه، ص377.---141- قاصري، محمد السعيد: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830-1962)، دار الإرشاد، الجزائر، 2013، ص- ص376-381. ---142- أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص215.---143- معلمة المغرب، ج2، المرجع السابق، 444.---144- حسين، مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، 1412هـ/1992م، مج2، ج2، ص 366.---145- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص221.---146- حسين، مؤنس: المرجع السابق، ص 313.---147-حمدان، خوجة: المرآة، المصدر السابق، ص111.